كتاب الاربعين الطبية

المستخرجة من سنن ابن ماجه

وشرحها للعلامة عبد اللطيف البغدادي

عمل

تلميذه الشيخ محمد بن يوسف البرزالي

رحم الله الجميع

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

يقول كاتبه محمد بن يوسف البرزالي وفقه الله بمنه

لما خرجت من مكة شرفها الله وقفة الاربعاء قصدت الشام بسبب سنن ابن ماجه فلقيت الشيخ ابا محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى ابقاه الله ، فأعلمت أنها روايته ، فسالته ان اقرأها عليه، فانعم وشرعت فى قرأتها فلما وصلت ابواب الطب . سالته ان يوضح لى مشكلها ، ويبين لى ما تضمنته من المعانى الشريفة . والحكم الغامضة المنيفة ، فانعم وتفضل واصاب فى شرحها وذكر فيه من غرائب الحديث ، ما لم يذكره فى شرحه الكبير فى غريب الحديث . فوافق ذلك ان جاءت اربعين حديثا ، فاستاذنته فى افرادها باسانيدها الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وان اذكر بعد الاحاديث شرحها ، فاذن لى فى روايتها عنه كذلك فخرجتها رغبة فيما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من طرق شتى ، وروايات مختلفة انه قال: من حفظ اربعين حديثا كنت له شفيعا يوم القيامة ، فاجتهد كل واحد مَن العلماء فى رواية اربعين حديثا لهذا الخبر . فاردت ان اكون من جملتهم ، واذكر فى زمرتهم ، جمع الله بيننا وبينهم فى عليين مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين. انه ارحم الراحمين وخير الغافرين .

قال شيخنا ابو محمد عبد اللطيف البغدادى ايده الله تعالى اخبرنى بجميع كتاب السنن تأليف ابى عبد الله ابن ماجه ابو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى الصوفى قراءة

عليه وانا اسمع ببغداد قيل: اخبركم الشيخ ابو منصور محمد بن الحسين المقدسى اجازة ولم يكن سماعا. وظهر لنا سماعه بعد موته رحمه الله قال اخبرنا ابو طلحة القاسم بن المنذر الخطيب قال: حدثنا ابو الحسن على بن ابراهيم بن سلمة قال ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه.

الحديث الاول

من باب ما انزل الله داءً الا انزل له شفاءً

قال ابن ماجه: (ثنا ابوبكر بن ابى شيبة، وهشام بن عمار انا سفيان بن عيينه عن زياد بن علاقة عن اسامة بن شريك قال: شهدت الاعراب يسألون النبى صلى الله عليه وسلم اعلينا حرج فى كذا؟ اعلينا حرج فى كذا. فقال عباد الله وضع الله الحرج الا من اقترض من عرض اخيه شيئا. فذلك الذى حرج، قالوا يا رسول الله هل علينا حرج ان لا نتداوى، قال تداووا عباد الله، فان الله لم يضع داءً الا وضع له شفاءً الا الهرم، قالوا يا رسول الله ما خير ما اعطى العبد؟ قال خلق حسن).

قال الشيخ الحرج الضيق والاثم، وقوله الا من اقترض من عرض اخيه، اى الامن اغتابه وسبه وآذاه فى نفسه، فان عرض الرجل نفسه. وفى اقترض معنيان احدهما من قرض الدين والمال الذى يوخذ ليرد وقتا آخر. ولما كانت اذاية العبد اخاه فى الدنيا تسترد منه فى العقبى عبر عنها بالاقتراض، ولذلك يروى: اقرض من عرضك ليوم فقرك،

أى من شتمك فلا تشتمه، واترك ذلك قرضا الى يوم القيامة.

والمعنى الآخر ان يكون اقترض بمعنى قطع، وهو من قرضت الفارة الثوب اذا قطعته وعابته. كأنه ينظر الى معنى قوله تعالى: ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا. وقوله ان الله لم يضع داءً الا وضع له شفاءً، معنى لم يضع لم يخلق، والشفاء الدواء الشافى، كما يقال هذا شفاء كذا، وكثيراً ما يوصف بالمصدر.

وقد قال عليه السلام فى حديث آخر ما انزل الله داءً الا انزل له دواءً وهذا الكلام حق، وذلك ان الداء خروج البدن او العضو عن اعتداله فى مزاجه وهيئته او وضعه، وذلك الخروج يكون فى احدى الدرج الاربع التى يعرفها الاطباء ولا شئ منها الا وله ضد، وقد علم من اصول الطب ان الضد شفاء الضد وكنا قد عملنا فى ذلك مقالة على حيالها، لكن لا يمكننا دائما استعمال الضد فى شفاء الضد لموانع منها ان نجهله. فانا لا نحيط علما بكل دواء، ولا بجميع خواص وافعال دواء واحد، وقد لا يخطر ببالنا كل ما نعلم عندما نعمل.

وقد يتعذر علينا احضار كثير مما نعلمه لعزته فى نفسه او في ذلك الوقت بعينه، وقد يحضر ويمنع مانع من جهة المريض او الوقت او معنى آخر. وقد احصى كثيرا من ذلك الاطباء. ثم استثنى عليه السلام الهرم من ذلك المعنى. فانه لم يوضع له شفاء. لانه اضمحلال طبيعى وطريق الى الفناء ضرورى. فان كل نقص وفساد يدخل المصباح له طريق الى اصلاحه. الا النقص الداخل من نقصان الزيت فليس له بدون الدهن اصلاح. وفى هذا الحديث رد على من كره المداواة وتورع عنها وذم الطب وسب الاطباء، ورأى ان

التطبب خرج عن التوكل ، ولم يعلم ان الله الذى خلق المرض خلق له دواءً يستعمل له فيشفيه ، وان الذى خلق الجوع خلق الغذاء دواءً له . فهلا ترك هذا المدعى الغذاء كما يترك الدواء . فان الجوع ايضا مرض .

والهرم منصوب وان كان قبله نفى اذ فيه استثناء . والاستثناء بعد الاستثناء من النفى استثناء من الايجاب فينصب كما علم . لان معناه كل داء وضع. فقدوضع له دواء الا الهرم. فهو مثل قولهم ما اكل احد إلا الخبز الا زيدا . اذ معناه ان كل احد اكل الخبز الا زيدا .

الحديث الثانى

من الباب الاول ايضا

(حدثنا محمد بن الصباح : اخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن ابى حذافة عن ابيه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارايت ادوية نتداوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتقى نتقى بها ، هل ترد من قضاء الله شيئا قال : هى من قدر الله) قال الشيخ : لو كان ارباب الحيرات والشبه واهل الآراء والنحل يستضيئون بمصباح هذه الكلمة النبوية والحكمة الالاهية فى ليل الشكوك عندما تتزاحم بهم ظنون الاباطيل ، وتتلاعب بهم امواج الاضاليل لابصروا عن عمى ، ورشدوا عن غى ، ولكن يهدى الله لنوره من يشاء . وقد لخصنا هذا المعنى فى كتب كثيرة لنا . منها مقالة فى القدر . ومنها رسالة فى الممكن ، ومنها الكتاب العجاب فى ذكر الدعاء المستجاب فانه اذا قدركون الكائن المطلوب كانت الاجابة لامحالة مقارنة او

منيسة بحسب ما قدر ، وقد زنا خلل ذلك من حيث يبلغه علمنا ويبلغه عنايته بنا مما لا يسع كشفه في هذه الاوراق .

الحديث الثالث

من باب الخمر مفتاح كل شر

(حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي نا الوليد بن مسلم نا منير بن الزبير انه سمع عبادة بن نسي يقول نا خباب بن الارث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : اياك والخمر ، فان خطيئتها تفرع الخطايا كما ان الشجرة تفرع الشجر) . قال الشيخ معنى تفرع تطول . يقال فرع فلان الرجال ، وفلانة النساء اذا طالهم . ومعناه ان خطيئة شرب الخمر تطول سائر الخطايا وتعلوها وتزيد عليها . كما ان شجرتها تطول سائر الشجر التي تتعلق بها وتستعلي عليها حتى تعلوها .

وفي هذا الحديث معنيان عجيبان لطيفان احدهما تشبيه المعقول بالمحسوس ، وجعل الاحكام الشرعية في حكم الاعيان المرئية . والآخر أن الخمر طريق الى الفواحش ومحسنة لها . ودرجة الى كل خبيثة ولذلك سميت ام الخبائث ، وقال : الخمر مفتاح كل شر ، وكذلك شجرتها ، فانها تتعلق بالشجرة الدنية منها وتفرعها وتعلوها وتصير درجا وسلما وطريقا ومسلكا ومرقاة . فشرب الخمر وصلة الى الخطايا كما ان شجرتها وصلة الى كل شجرة تتعلق بها .

الحديث الرابع

من باب النهي ان نتداوى بالخمر

(حدثنا أبوبكر بن ابي شيبة نا حماد بن سلمة نا سماك بن

خرب عن علقمة بن وائل الحضرمي عن طارق بن سويد الحضرمي قال : قلت يارسول الله ، ان بارضنا اعنابا نعتصرها فنشرب منها قال لا . فراجعت قلت انا نستشفي به للمريض . قال ان ذلك ليس بشفاء ولكنه داء) . قال الشيخ : كنا قد عملنا مقالة في الخمر واخرى في شجره ، واخرى في الماء والشراب ، وذكرنا مضار الخمر ومنافعها واستقصينا قول الاطباء والحكماء وما يقتضيه حفظ الصحة ومداواة الاجساد .

الحديث الخامس

من باب من تطبب ولم يعلم له طب

(حدثنا هشام بن عمار ، وراشد بن سعيد الرملي قالا نا الوليد بن مسلم بن جريج عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن) . قال الشيخ : هذا الحديث فيه حكم شرعي واحتياط على الناس سياسي ، اذ في ذلك خطر شديد ، ومعناه ان من تعاطى فعل الطب ولم يتقدم له في ذلك سابقة تجربة ، ولامداولة الاعمال وخدمة الاطباء ومماشاة المجربين فقتل فهو ضامن ، لان غالب من هذه حالته ان يكون قد اقدم بالتهور على ما لم يقلبه خبرا يحق لمثل هذا ان لا يغرر بالمهج . فاما من سبقت له بذلك تجارب فهو قمن بالصواب ، وإن اخطأ فعن بذل الجهد الصناعي ، او عن قصور الصناعة ، وعند ذلك لا يكون ملوما عليه .

obeikandl.com

الحديث السادس

من باب الحمى

(حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة ناوكيع عن موسى بن عبيدة عن علقمة بن مرثد عن حفص بن عبيد الله عى ابى هريرة قال: ذكرت الحمى عند النبى صلى الله عليه وسلم فسبها رجل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، لا تسبها ، فانها تنقى الذنوب كما تنقى النار خبث الحديد) .

الحديث السابع

من باب الحمى ايضا ، وفيه زيادة فابردوها بالماء وشرحهما معا

(حدثنا ابو بكر عن ابي شيبة نا عبد عبد الله بن نمير نا هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء) قال الشيخ: الحمى حرارة غريبة تضر بالفعل لا تكون الا فى مادة اولا ، ثم منها تسخن سائر الاعضاء فان كان مبدأ تعلقها بالروح سميت حمى يوم ، لانها تزول في الغالب فى يوم ، ونهايتها ثلاثة ايام . وان كان مبدأ تعلقها اخلاطا سميت عفنة ، وان كان مبدأ تعلقها بالاعضاء الصلبة الاصلية سميت حمى دق وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا الكبير فى الحميات ، واختصرناه في كتاب ثان وثالث ، وكثيرا ما تكون حمى يوم ، وحمى العفن سببا لانضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها ، وسببا لتفتيح سدد لم تكن تصل اليها الادوية .

واما الرمد الحديث والمتقادم فانها تبرئه برءا عجيبا وحيا مجربا

obeikandl.com

وقد قلنا انها تنضج الفضول الغليظة المحتبسة . وتفتح السدد الغامضة فيلزم من ذلك انها تبرئ من جميع الامراض التابعة لذينك مع كثرتها ، وان هذين السببين يكون عنهما جل الامراض ، وهي تبرئ من الفالج واللقوة اذا عرضت بعدهما . وقد علمنا ذلك (بقراط) في فصوله وشرحه (جالينوس) واوضحناه في شرحنا لكتاب الفصول ، وكذلك تفعل الحمى بالتشنج الامتلائي .

واما الربع فما اكثر الامراض الصعبة التي تبرئ منها، ولا سيما الصرع والنقرس والدوالي واوجاع المفاصل ، والجرب والحكة والبثور من التشنج . ثم إن الحمى تتبعها حمية عن الاغذية الردية ، وتناول الادوية النافعة والاغذية اللطيفة . وفي ذلك كله اعانة على تنقية البدن ونفي اخباثه وفضوله وتصفيته من ادرانه وعيوبه ، فتفعل فيه كما تفعل النار في الحديد ، ففضول البدن كخبث الحديد والذي صرح به في الحديث انها تنقي الذنوب لانها كفارة السيآت والخطايا . والكفارة تمحو المكفر عنه فحينئذ يكون قد شبه المعقول بالمحسوس ، والمريض يتذكر العقبى ويندم على ما مضى. ويستغفر من الخطايا فيكون كمن لا ذنب له بمنزلة الملائكة .

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت على المريض فمره يدعو لك ، فان دعاءه كدعاء الملائكة ، واما قوله صلى الله عليه وسلم ان شدة الحمى من فيح جهنم ، فابردوها بالماء . فان هذا الحديث قد تخلص بلفظ شدة عن طعن الطاعنين ، لان في الحديث الآخر ان الحمى من فيح جهنم . ولعمري ليس كل حمى يجوز ان تبرد بالماء بل الحميات المحرقة التي ليس لها ورم في بعض الاحشاء ، وقوة

المريض مستظفرة ، والصفراء والدم في غليانهما وقد اخذا فى النضج.

فجالينوس يسقى الماء البارد في هذه الحميات عند تظافر الشرائط والاسباب حتى يحضر المريض فحينئذ تنطفئ حماه فى الوقت وتبرأ على المكان وكثيرا ما تعرض هذه الحميات التى يوافقها الماء البارد في ارض العرب وفي كل بلد حار يابس ، وكثيرا ما يستعمل الاغتسال في حميات يوم ، فيكون ذلك سبب الشفاء ولاسيما الاستحصافية ، ولجالينوس في ذلك حكايات كثيرة وشروح واسعة ومناظرات مع اطباء زمانه ، فانه بلج عليهم بحجته وهزئ من الاطباء حين كان يحتم على المريض ويعذيه ويامره بالخروج الى صناعته ويأتى الاطباء اليه فلا يجدونه في منزله فيستحيون من تقصيرهم ومن خطإهم على المريض .

الحديث الثامن

من باب الحمية

حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة نا يونس بن محمد نا فليح بن سليمان عن ايوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن ابي صعصعة ح. وحدثنا محمد بن بشار نا ابو عامر وابو داوود قالا نا فليح بن سليمان عن ايوب بن عبد الرحمن عن يعقوب بن ابي يعقوب عن ام المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على بن ابي طالب رضى الله عنه وعلى ناقه من مرض ، ولنا دوال معلقة وكان النبي صلى الله عليه وسلم ياكل منها ، فتناول علي لياكل منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياعلي انك ناقه مرض . قالت فصنعت للنبي صلى الله عليه وسلم

سلقا وشعيرا فقال لعلي: من هذا فأصب فانه انفع لك). قال الشيخ في هذا الحديث الامر بالحمية، وان الناقه ينبغي له ان يحتفظ على نفسه ولا يمرجها مرج الاصحاء.

والناقه هو الذي خلص من المرض وهو متحرك الى الصحة الوثيقة ولم تحصل له بعد صحة تامة واعضاؤه ضعيفة وكذلك هضومه وافعال اعضائه فهي سهلة القبول للآفات، وبهذا ونحوه تثبت الحالة الوسطى الثالثة التي هي لا صحة ولا مرض التي اثبتها جالينوس وانكرها جماعة من المتأخرين وقد بينا ذلك في كتاب لنا مفرد لهذا خصصناه بالكلام على حد الطب.

والعنب واكثر الفواكه مما ينبغي ان يحتمي عنه الناقه لقلة غذائها وكثرة فضلاتها وشدة مجاهدة القوى لها، وايضا فان الناقه مفتقر الى ما يزيد في جواهر اعضائه، ويكون مع ذلك سريع النفوذ، سريع الاحالة لفعل الطبيعة بطيء الاستحالة الى الفساد كالسلق والشعير مطبوخين.

الحديث التاسع

من باب الحمية

(حدثنا عبد الرحمن بن عبد الوهاب نا موسي بن اسماعيل نا المبارك نا عبد الحميد بن صيفي من ولد صهيب عن أبيه عن جده صهيب قال: قدمت على النبي صلى عليه وسلم وهو يأكل التمر فجلست معه وبين يديه خبز وتمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ادن، فكل، فاخذت آكل من التمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتأكل تمراً وبك رمد؟ قال: قلت يارسول الله اني امضغ من

ناحية اخرى ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم) . قال الشيخ : هذا الحديث فيه ثلاث فوائد . الاولى . الامر بالحمية والنهي عن التخليط . الثانية ان الرمد يضربه التمر ، فالاولى حكم شرعي ، والثانية حكم طبي . لان التمر يسخن الدم ويعكره ويعين على عفنه واشتعاله . والرمد ورم حار فالتمر يضره . واما الفائدة الثالثة فاستجازة سماع المزاح وقبوله ، وفيه فائدة اخرى لطيفة ، وانه عليه السلام لم ينهه عن التمر حتما وانما استفهمه استفهام منكر ، ولما اكل لم يكفه .

وفي الحديث السابق صرح لعلي عليه السلام بالنهي عن اكل العنب لما كان ناقها ، لان الناقه ضعيف الهضم في جميع جسده . واما الارمد فهو مئوف عضو واحد ، وسائر اعضائه سالمة وهضمه قوي ، والهضم يجود تصرفه في الغذاء وان كان رديئاً ، فلا يضر الارمد التخليط مقدار ما يضر الناقه ولا سيما ان كان الرمد في انحطاطه ، او كان من مادة باردة ، فالتمر حينئذ لا تعظم مضرته ولا يضر .

الحديث العاشر

من باب لا تكرهوا المريض على الطعام

(حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير نا بكر بن يونس عن بكر ابن موسى بن علي بن رباح عن ابيه عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب . فان الله يطعمهم ويسقيهم) .

قال الشيخ ما اغزر فوائد هذه الكلمة النبوية ، وما اجداها

للاطباء ، وذلك ان المريض اذا عاف الطعام والشراب ، فذاك لاشتغال طبيعته بمجاهدة مادة المرض ، او سقوط شهوته لموت الحرارة الغريزية او نقصانها ، وكيف ما كان الامر فلا يجوز حينئذ اعطاؤه الغذاء في هذا الحال .

واعلم ان الجوع انما هو طلب الاعضاء القصوى من الاعضاء الدنيا حتى ينتهي الجذب الى المعدة. فاذا وقع بالجاذبة آفة من عائق او موت حسي ، لم يكن جوع او لم يكن احساس لفقد طلب الاعضاء الى الغذاء في هذا الحال . فاعطاؤه الطعام في هذه الحالة زيادة للبلية ، وتعجيل للنازلة المتوقعة ، لكن قد تقع في النادر مواضع ينبغي ان يجبر المريض فيها على الطعام والشراب ، فان بعض من تحدث فيه حمى محرقة ومعها اختلاط العقل ، يجوز ان يجبر على الماء خاصة ، وذلك انه تكون به حاجة شديدة الى الماء وليس له عقل حاضر حتى يطلبه ، وايضا فقد يكون بالمريض شهوة نائمة فتنبه وتوقظ شهوته باليسير من الطعام ، وحينئذ يختار له من الطعام ما له لذة وبنة .

الحديث الحادي عشر

من باب المريض يشتهي الشيء وفيه معنى العيادة للمريض

(حدثنا الحسن بن علي الخلال نا صفوان بن سمرة نا ابو حسكس عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم عاد رجلا فقال : ما تشتهي ؟ قال : اشتهي خبز بر . فقال عليه السلام ، من كان عنده خبز بر فليبعث الى اخيه ، ثم قال عليه السلام اذا اشتهى مريض احدكم شيئا فليطعمه .

قال الشيخ : هذا الحديث فيه حكمة طبية فاضلة تشهد لقانون شريف ذكره « بقراط » في عدة مواضع وعدة عبارات . وعظمه من بعده وشرحوه وذيلوه وقد ذكرنا طرفا من ذلك في رسالة لنا شريفة المأخذ . لقبناها (بالمقالات) وعرضنا بضرب منها في المقالة الملقبة (بشفاء الضد بالضد) ولخصناه في شرحنا لكتاب « فصول بقراط » وذكرنا جملة في كتاب الفصول لنا ببلغة الحكيم ، وهو سبع مقالات ايضا .

والذي يلائم هذا الموضع في معني هذا الحديث ان المريض اذا تناول ما يشتهيه وان كان اضر قليلا ، كان انفع واقل ضررا مما لا يشتهيه وان كان نافعا . ولا سيما اذا كان ما يشتهيه غذاء . وقال بقراط : ما كان في الطعام والشراب اخس قليلا الا انه ألذ ، فينبغي ان يختار على ما هو الافضل ، وذلك أن الملذوذ المشتهي تقبل القوة المغيرة عليه بعناية وتشتمل عليه بحفاوة . وايضا فان المشتهي كثيرا ما يكون به الشفاء او يكون عنده ، ولا سيما ان انبعثت النفس اليه بصدق شهوة وصحة قوة ، ولا سيما ان كان ملائما كالخبز والكعك ، فكلاهما جاء في الحديث ، ولا سيما ان كانت صناعة الطب لا تنكره .

وطالما رأيت وسمعت مرضى يشتهون اشياء ينكرها الطبيب فيتناولونها على رغمه فيعقبها الشفاء . فاذا فحص الطبيب عن علة ذلك الفاها صحيحة مطابقة . وما ذلك الا لعجز البشر عن اقتناء كل ما في طبيعة الاشياء ، فينبغي للطبيب الكيس ان يجعل شهوة المريض من جملة ادلته على طبيعته ، ومما يهتدي به الى طريق علله ، فسبحان المستأثر بالغيب .

الحديث الثاني عشر

من باب التلبينة

(حدثنا ابراهيم بن سعد الجوهري نا اسماعيل بن علية نا محمد ابن السائب بن بركة عن امه عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخذ اهله الوعك امر بالحساء، وكان يقول انه ليرثو فؤاد الحزين. ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو احداكن الوسخ عن وجهها بالماء. وفي حديث بعده في الباب عن عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالبغيض النافع التلبين يعني الحساء. قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى احد من اهله لم تزل البرمة على النار حتى ينتهي احد طرفيه تعني يبرا او يموت).

قال الشيخ: الوعك المرض الخفيف، واول المرض قبل ان يقوى وقوله عليه السلام يرثو اي يشتد ويقوى. ويسرو اي يزيل ويذهب. والتلبين هو الحساء الرقيق الذي في قوام اللبن، ومنه اشتق اسمه وهذا هو النافع للمريض، وهو الرقيق النضيج لا الغليظ النيء.

واذا شئت ان تحصي فوائد التلبينة، فاحص فضائل ماء الشعير ولا سيما ان كان بنخالته فانه حينئذ يجلو وينفذ سريعاً ويغذي غذاء خفيفاً لطيفاً واذا شرب حارا كان جلاؤه اقوى، ونفوذه اسرع، وانماؤه للحرارة الغريزية اكثر، وتمليسه لسطوح المعدة والامعاء وسائر الاجزاء احسن، ولبقراط كتاب في الامراض الحارة قد شرحه جالينوس، واختصرته انا، ولكثرة ولوعه فيه بماء الشعير سماه قوم (بكتاب ماء الشعير).

والفؤاد هنا راس المعدة، وفؤاد الحزين يضعف باستعلاء اليبس على اعضائه وعلى معدته خاصة لقلة الغذاء، وهذا الحساء يرطبها ويقويها ويغذيها، ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض. لكن المريض كثيرا ما يجتمع في فم معدته خلط مراري، او بلغمي او صديدي وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة ويسروه ويدفعه ويحدره ويعدل كيفيته، ويكسر سورته وسورة الكيموس المتشبث بخمل المعدة الشبيه بالوسخ المغشى بشرة الوجه، وشرب الماء الحار وحده يفعل مثل ذلك، ولكن لا يغذي ولا يملس، وسماه البغيض النافع، لان المريض يعافه وهو نافع له، وما انفع الحساء خاصة لمن يغلب على غذائه في صحته الشعير، واما من يغلب على غذائه الحنطة فالاولى به في مرضه حساء الشعير.

الحديث الثالث عشر

من باب العسل

(حدثنا محمد بن حراس نا سعيد بن زكرياء القرشي نا الزبير ابن سعيد الهاشمي عن عبد الحميد بن سالم عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء)، ومن الباب ايضا.

الحديث الرابع عشر

وشرحهما معا

(حدثنا علي بن سلمة نا يزيد بن الحباب نا سفيان عن ابن اسحاق عن ابي الاحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العسل والقرآن).

قال الشيخ : العسل حار يابس في آخر الثانية ، وهو غسال جلاء مفتح اذا استعمل أكلا وطلاء ، وينقي البشرة وينعمها ويحفظ قوى المعاجين وغيرها. وقال الاطباء : انما عجن به الترياق الفاروق وغيره من المعاجين ، لانه يحفظ قوتها ويغوص فيها ويلطف الادوية المفردة ويفرق اجزاءها . فيغوص لذلك في الاعضاء ويذهب بكيفية الادواء الكريهة ، ويجعل الدواء وسطا بين الطبيعة والادواء . وله في نفسه منافع . فانه ينقي الكبد والصدر ، وينفع من لسع الهوام ومن السموم القاتلة كالخشخاش والفطر ، واذا جعل فيه اللحم الطري حفظ طراوته ثلاثة اشهر . وكذلك ان جعل فيه الخيار والقثاء والقرع والباذنجان وكثير من الفواكه يحفظها ستة اشهر ، ويحفظ جثث الموتى وكل ما يودع فيه . ولذلك يسمى الحافظ الامين .

واذا لطخ به البدن القميل والشعر قتل قمله وصيبانه وطول الشعر وحسنه ونعمه . وان اكتحل به جلا ظلمة البصر . وان استن به بيض الاسنان وصقلها ، وحفظ صحتها وصحة اللثة ، واذا تغرغر به نفع من اورام الحلق والخناق ، ويوافق السعال البلغمي ، ويدر البول ، ويلين البطن ويفتح سددها . ويفتح افواه العروق . ويدر الطمث . ويبرىء من اكل الفطر القاتل . ومن شرب الافيون ومن لسعة العقرب ومن نهش الهوام ذوات السموم . ومن عضة الكلب الكلب ، وهو غذاء مع الاغذية . وشراب مع الاشربة ودواء وحده ومع الادوية وحلواء وفاكهة . ولم يخلق لنا شيء فيه معانيه افضل منه ولا مثله ، لا مما نصنعه ولا مما هيىء لنا ، وهو مع هذه الفضائل الجمة مامون الغائلة ، قليل المضار ، وانفع ما كان للمشائخ وارباب العبالة ومضرته للصفراويين ، ودفع مضرته بالخل ونحوه .

وحينئذ يعود نافعا لهم. وهو يدخل في اغذية الشيوخ وما اشبههم، وهو في اكثر الامراض والاحوال افضل من السكر: لانه يفتح ويجلو ويدر ويحلل ويغسل، وهذه الافعال في السكر ضعيفة، وفي السكر ارخاء للمعدة وليس ذلك في العسل، وتذهب رغوته بطبخه وحده. ولكثرة ارضية السكر وقلة حدته صار ملائما للمعدة والتغذية. وانفع لارباب الامزجة الملتهبة، فانه ابطأ استحالة الى الصفراء من العسل، فاذاً العسل ادخل في باب الدواء من السكر في جميع الامراض، واصلاح كيفيته في ارباب الصفراء سهل متيسر.

وأما السكر فأدخل في باب الغذاء، واصلاحه لمن لا يوافقه عسير، ولذلك كان القدماء يعتمدون على العسل في العلاج، ولا يتخطونه الى السكر اصلا. وقد عمل بعض اطباء المغرب مقالة في العسل وتفضيله على السكر وتغالى حتى تعصب على السكر وصرح بالنهي عنه، واطلق القول ولم يفصله، وقد كنا ازمعنا ان نعمل مقالة بين السكر والعسل كما عملنا محاكمة بين الزبيب والتمر. وقد اشرنا الى جمل من ذلك هنا وبالله التوفيق.

وبالجملة، فلعق العسل على الريق يذيب البلغم ويغسل خمل المعدة ويدفع الفضول عنها، وينضجها ويسخنها باعتدال ويفتح سددها ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلا والمثانة، وهو أقل ضرراً لسدد الكبد والطحال من كل حلو. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب كل يوم قدح عسل ممزوجا بالماء على الريق. وهذه حكمة عجيبة في حفظ الصحة لا يعقلها الا العالمون. وقد كان بعد ذلك يغتذى بخبز الشعير مع الملح والخل ونحوهما، ويصابر شظف العيش،

فلا يضره لما سبق له من الاصلاح، وقد كان عليه السلام يراعي في حفظ صحته أمورا فاضلة جداً، كشرب ماء العسل على الريق، ومنها تقليل الغذاء وتجنب التبطن والتخم، ومنها شرب بعض النقوعات ليصرف بها غذاءه، كنقيع التمر والزبيب والشعير، ومنها استعمال الطيب وجعل المسك في مفرقه والادهان والاكتحال، فكان عليه السلام يغذي روح الدماغ بالمسك، وروح الكبد والقلب بماء الشعير، ويقلل من الغذاء الاردى مع مراعاة الامر السماوي.

وفي هذا سر لطيف من اسرار القدر، وهو ان نعمل ما الينا عمله ونكل في جميع ذلك الامر الى الله تعالى، ونتوسل اليه ضارعين لانعامه وتحقق جوده، فلا نكتفي بأنفسنا فيما نعانيه ولا نبطل السعي اصلا ـ فنكون بمنزلة الفلاح يحرث الارض ويودعها البذر ويتحين الوقت، ثم يضرع الى خالقه سبحانه في بلوغ الغايات ودفع العاهات وانزال القطر، وكذلك يفعل بالمريض يسقى العسل ويدبر بكل ما له العقول تصل، ونضرع الى الله تعالى في حصول الصحة ودفع السقم ونجوح الدواء وانزال الشفاء، فعلى هذا كان الانبياء والحكماء الاولون، لا على ما يراه الجهال والمخرفون.

الحديث الخامس عشر
من باب الحبة السوداء

(حدثنا محمد بن رمح قال: نا الليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب قال: اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ان ابا هريرة اخبرهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام)، والسام الموت، والحبة السوداء هي الشونيز.

الحديث السادس عشر

من الباب وشرحهما معا

(حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة نا عبيد الله انا اسرائيل عن منصور عن خالد بن سعد قال : خرجنا ومعنا غالب بن الحر، فمرض في الطريق فقدم المدينة وهو مريض ، فعاده بن ابي عتيق وقال لنا: عليكم بهذه الحبة السوداء ، فخذوا منها خمسا او تسعا فاسحقوها ثم قطروها في هذا الجانب ، وفي هذا الجانب ، فان عائشة حدثتهم انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء الا ان يكون السام ، قلت : وما السام ، قال : الموت) .

قال الشيخ : الشونيز هو الكمون الاسود ، ويسمى الكمون الهندي. ومنافعه كثيرة، وهو حار يابس في الدرجة الثالثة، يجلو ويقطع ويحلل ويشفى من الزكام اذا قلى وصر في خرقة وشم دائما، ويحلل النفخ غاية اذا ورد من داخل البدن ، ويقتل الدود اذا اكل على الريق ، واذا وضع على البطن من خارج لطوخا كذلك ، ودهنه ينفع من داء الحية ومن الثآليل والخيلان ، واذا شرب منه مثقال بماء نفع من البهر وضيق النفس . ويدر الطمث المحتبس ، والضماد به ينفع من الصداع البارد ، واذا نقع منه سبع حبات عددا في لبن امرأة ساعة وتسعط بها صاحب اليرقان نفعه نفعا بليغا وحيا لقوة تفتيحه المسام والسدد ، واذا طبخ بخل وخشب الصنوبر نفع من وجع الاسنان عن برد مضمضة . واذا شرب في الحساء ادر الطمث والبول واللبن ، واذا شرب بنطرون شفى من عسر النفاس،

وينفع من نهش الرتيلا ، ودخانه يطرد الهوام وخاصيته اذهاب الجشا الحامض والكائن عن البلغم والسوداء . وهذه بعض منافعها .

وقد استقصينا كثيرا من ذلك في كتابنا في الادوية المفردة ، وكتاب لنا آخر ، وكتاب لنا ايضا ثالث ، في هذا المعنى على حروف المعجم ، وقوله شفاء من كل داء ، اي من اكثر الادواء ، ويجوز ان يطلق ويراد به الاكثر لضرب من المبالغة ، ولذلك امثال في القرآن وفي كلام الفصحاء .

الحديث السابع عشر

من باب الكمئة والعجوة

(حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير نا اسباط بن محمد نا الاعمش عن جعفر بن اياس عن شهر بن حوشب عن ابي سعيد وجابر قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكمئة من المن ، وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم ،)

الحديث الثامن عشر

من الباب ايضا وشرحهما معا

(حدثنا محمد بن الصباح نا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير سمع عمرو بن حريث يقول سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الكمئة من المن الذي انزل على بني اسرائيل ، وماؤها شفاء للعين ، وفي حديث آخر ، الكمئة جدرى الارض) قال الشيخ : الكمئة تسمى بنات الرعد ،

لانها تكثر بكثرته وتنفطر عنها الارض، وهي من اطعمة الاعراب وتكثر بارضهم وهي اصناف، والفطر صنف منها ومنه صنف قتال، اكله يحدث الاختناق ، والغردة الكمئة وهي بالفارسية هردة، وبالسريانية عردم وفيها من جهة العربية امر غريب ، كمأ مفرد ، وكمئة جنس ، خلاف ما عليه جمهور الكلام ، مثل تمر وتمرة ، وشجر وشجرة ، فان الهاء للمفرد ، وحذفها للجنس ، والكمئة جوهرها ارضى ، وغذاؤها ردىء غليظ ، لكن فيها جوهر مائي لطيف، ولذلك اذا اكتحل بمائها نفع من ضعف البصر، واذا دقت بماء وخضب به الشعر نفع من ابتداء الصلع قبل وقته ، وكونها من المعدن والنبات ، ومادتها من جوهر ارضى بخاري محتقن في الارض نحو سطحها ، يحتقن ببرد الشتاء ، وتنميه رطوبة امطار الربيع، فيكون مندفعا نحو سطح الارض ويتجسد ولذلك شبهه بالجدرى ، لان الجدرى مادته رطوبة دموية تندفع عند سن الترعرع في الغالب . وفى ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة .

وما احسن قوله صلى الله عليه وسلم : ان الكمئة من المن الذي انزل الله على بني اسرائيل، فهذا يدل على انه لم يكن المنزل على بني اسرائيل هذا المن الحلو فقط ، بل اشياء كثيرة من النبات الذي يوجد عفوا من غير كسب فهو من الله محض ، لم يشبه كسب العبد ولا شكده تعب التعمل ، فهو لذلك من خالص، فقد كان قوتهم ايام التيه الكمئة . وهي تقوم مقام الخبز ، والسلوى هو ادمهم ، والمن هو الطل الحلو ، وهو حلواؤهم ، فحينئذ كمل عيشهم ، فان انضاف الى ذلك اصناف أخر من النبات والحيوان الموجودين عفوا مما يجري مجرى ما ذكرنا كان تمام المن .

واما العجوة فهي غذاء فاضل كاف ، وليس شيء مما رزقنا الله

سبحانه ولا لنا فيه عمل اكفى من التمر ، ولا اغذى واحفظ للصحة منه ، فهو وحده غذاء كاف طبيعي ، فان انضاف اليه سمن فقد تمت كفايته ، والعجوة صنف من التمر كريم ، وهو صلب ملزز متين القوة ، واما كونه عليه السلام جعلها من الجنة ، فهو نظر الى قوله في موضع آخر اكرموا النخلة فانها عمتكم ، وقد صرحنا بالعلة في كونها عمة في مقالة لنا في النخل مستوفاة وهي شفاء من السم ، ولا سيما السم البارد والمقرح ، وتنفع من لسعة العقرب ومن شرب الدراريج ونحو ذلك، ونقيعها ودبسها ينفع كثيرا من ينفع منه العسل،

الحديث التاسع عشر

من باب السنا والسنوت

(حدثنا محمد بن ابراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح الفريابي نا عمرو بن بكر السكسكي نا ابراهيم بن ابي عبلة سمعت عبد الله بن ام حرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : عليكم بالسنا والسنوت ، فان فيهما شفاء من كل داء الا السام . قيل يارسول الله ، وما السام ، قال الموت) .

الحديث العشرون

من باب المشي وشرحهما معا

حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة قال : نا ابو اسامة عن عبد الحميد ابن جعفر عن زرعة بن عبد الرحمن عن مولى المعتمر التيمي عن

اسماء بنت عميس قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين ؟ قلت بالشبرم ، قال حار حار ، اذا استمشيت فبالسنا، فلو ان شيئاً كان فيه شفاء من الموت كان السنا. قال الشيخ: قد فسر السنوت(1) بتفاسير مختلفة : قيل هو الشبت ، وقيل العسل الذي يكون في زقاق السمن ، وقيل الكمون ، وقيل الرازيانج ، وقيل عكة السمن تعصر فيخرج منها خطوط سود مع السمن .

والسنا دواء شريف مامون الغائلة : قريب من الاعتدال ، حار يابس في الدرجة الاولى . وخاصيته النفع من الوسواس السوداوي ومن شقاق الاطراف ومن تشنج العضل وانتثار الشعر ومن القمل والجرب والبثور والحكة ، واذا طبخ في زيت وشرب اخرج الحام بقوة ونفع من اوجاع الظهر والوركين. وخاصية السنا اخراج السوداء والبلغم وتقوية القلب ، وهذه فضيلة شريفة وهو مما يكون بمكة شرفها الله كثيرا وبالحرم ، وافضله ما يكون هناك ، ولذلك يختار الاطباء السنا المكي .

واما السنوت فان كان من احد هذه : اما الشبت او الكمون او الرازيانج ، فمنافع كل من هذه ظاهرة ضرورة . وان كان معناه العسل فقد ذكرناه ، وهو اشبه بالموضع واليق لممازجته للسنا وكمال منفعته ، وكون العسل في زقاق السمن فيمكن ان يقصد بذلك ما يكسبه من الرطوبة والرصانة ، فيعتدل يبسه ويقوى انضاجه ويقرب الى طبيعة الغذاء . واذا خلط بطبيخ السنا احسن صلاحه ، وكان نظير ما نعلمه اليوم من السكر ودهن اللوز مع طبيخ السنا . واما الخطوط السود الخارجة مع السمن اذا عصرت عكته فلا اعرف له معنى ولا وقفت له على طبيعة

(1) السنوت كتنور وسنور : الزبد والجبن والعسل وضرب من التمر والرب والشبت والرازيانج والكمون (من طرة الاصل) .

واما الشبرم فمن السبعة القوية ، وهو حار بافراط في الدرجة الرابعة وحاد جدا ، والشربة منه قيراط الى ثلاثة قراريط ، والاكثار منه يقتل ، ولذلك اكده بالاتباع فقال : حار ، حار ، كانه قال : حار جدا . كما يقال قبيح قبيح ، وحسن حسن ، ويروى يار ، واليا قريبة المخرج من الحا ، ولذلك يتبع بها فيها وقوله : واذا استمشيت اي استدعيت المشى ، وهو كناية عن الاسهال لطيفة ، لانه يوجب تكرار المشي الى المتوضأ ، فسمى بالعرض التابع . والمسهل يسمى المشو والمشي، وهو فعول بمعنى فاعل من المشي؛ لان شاربه يمشي نحو المتوضأ ، واصله مشوي، اجتمعت الواو والياء، وسبقت الاولى بالسكون ، فقلبت ياء ، وادغمت في الياء بعدها ، وابدلت الضمة كسرة لتصح الياء، فيصير مشيا . ومنهم من يغير الياء الى الواو لاجل الضمة ، فيبقى مشوا كما ترى ، ويجوز ان يكون مشي فعيلا . واهل بغداد يكنون عن ذلك بالتخطي ، فيقولون تخطى فلان ، وهو تفعل من خطوت مثل تمشيت من مشيت .

الحديث الحادي والعشرون

من باب عرق النسا

(حدثنا هشام بن عمار، وراشد بن سعيد الرملى قالا: نا الوليد ابن مسلم نا هشام بن حسان نا انس بن سيرين انه سمع انس بن مالك يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : شفاء عرق النسا ، الية شاة اعرابية تذاب ، ثم تجزأ على ثلاثة اجزاء ، ثم تشرب على الريق ، في كل يوم جزء) قال الشيخ : هذا الحديث فيه معنى لغوي ، ومعنى طبي ، فالاول فيه اجازة من يقول عرق النسا ،

والرد على من انكر ذلك ، فان اهل اللغة منعوا ان يقال : عرق النسا ، لان النسا هو العرق نفسه فيكون من اضافة الشيء الى نفسه ، وهو في الحقيقة عصب ، وهو الذي يظهر في فخذ الدابة . اذا سمنت ماج كأنه حية .

واما المعنى الطبي فهو ان هذه المعالجة تصلح للاعراب الذين يحصل لهم هذا المرض من يبس ، وقد ينفع ايضا ما كان عن مادة غليظة لزجة من جنس الخام بالانضاج والاسهال ، فان الالية تنضج وتلين وتسهل . وقصد بالشاة الاعرابية قلة فضولها ولطف شحومها ورعيها اعشاب البر الحارة الملطفة ، كالشيح والقيصوم وامثال ذلك .

الحديث الثاني والعشرون

من باب دواء الجراحة

(حدثنا هشام بن عمار ، ومحمد بن الصباح قالا : نا عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن سهل بن سعد الساعدى قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على راسه ، فكانت فاطمة تغسل الدم عن وجهه وعلي عليه السلام يسكب بالمجن الماء ، فلما رات فاطمة رضي الله عنها ان الماء لا يزيد الدم الا كثرة ، اخذت قطعة حصير فاحرقتها حتى اذا صارت رمادا الزقته الجرح فاستمسك الدم) . قال الشيخ : رماد البردي . له فعل قوي في حبس الدم ؛ لأن فيه تجفيفا قويا وقلة لذع . فان الاشياء القوية التجفيف اذا كان فيها لذع ربما عادت وهيجت الدم وجلبت الورم .

وهذا الرماد اذا نفخ وحده او مع الخل في انف الزاعف قطع رعافه ، وقد يدخل في حقن قروح الامعاء، والقرطاس المصري يجري هذا المجرى. وقد شكره جالينوس ، وكثيرا ما يقطع به الدم ، وهذا القرطاس المصري الذي يذكره جالينوس كان قديما يعمل من البردي . واما اليوم فلا . والبردي بارد يابس في الدجة الثانية ، ورماده يمنع القروح الخبيثة ان تسعى .

الحديث الثالث والعشرون

من باب الضيافة

(حدثنا جبارة بن المغلس نا كثير بن سليم عن انس بن مالك قال : قال رسول الله عليه وسلم : الخير اسرع الى البيت الذي يغشى من الشفرة الى سنام البعير) . قال الشيخ : هذا الحديث فيه حث على المعروف وبذل العطاء ، وبشارة بسرعة الخلف . وشبه مجيء الخير الى المنزل الذي يغشاه الناس ، وسرعة الخلف والاضعاف بسرعة الشفرة الى سنام البعير وهو اسمن ما فيه وافضله عند العرب . وفيه سر لطيف . وهو انه عليه السلام وازى بين الخلف والبذل ، وبين فعل المضيف بنحر البعير لضيفانه وبين الخلف ، كانه يقول : بمقدار ما ينحر ويسلخ ويهوى بالشفرة الى السنام ياتيه الخير ، بل اسرع من ذلك ، وهو امر من وجه ما . شبيه بقوله : الامانة تجلب الرزق : لان من يعرف بها يستنام الى امانته ويتوفر نوله ، فيكون ذلك سببا لنفاق سلعته . وايضا ثم سبب سماوي لا يطلع عليه الا بخبر نبوي . وكذلك البيت الذي يغشى ، يقصد بالهدايا وبالتحف مجازاة ومحبة ومحاباة ، ولأمر سماوي ايضا . وقد

اشبعنا القول في موازنة الالفاظ والمعاني في كتابنا الملقب بتكملة الصناعة في شرح نقد الشعر لقدامة .

الحديث الرابع والعشرون

من باب النهي عن الاكل منبطحا

(حدثنا محمد بن بشار، نا كثير بن هشام، نا جعفر بن مرقال عن الزهري عن سالم عن ابيه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياكل الرجل وهو منبطح على وجهه) قال الشيخ : هذا الحديث فيه ادب بين يدي الله عز وجل ، واحترام للطعام ، وادب مع مواكله ، وهذه الهيئة المنهي عنها تمنع من حسن الاستمراء فان المري واعضاء الازدراد تضيق ، وكذلك المعدة لا تبقى على وضعها الطبيعي : لانها تنعصر مما يلى الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات النفس ، وقد ذكرنا ذلك ملخصا في كتاب لنا في التنفس والتصويت والكلام وآلاتها وتشريحها، وهو كتاب مستوعب لما جعل غرضا له، فخير ما استعملت الاعضاء وهي على وضعها الطبيعي وانما تكون المعدة على وضعها الطبيعي المعتدل اذا كان الانسان قاعدا من غير ميل .

الحديث الخامس والعشرون

من باب البس ما شئت ، ما اخطأك سرف او مخيلة

(حدثنا ابوبكر بن ابي شيبة ، نا يزيد بن هارون ، نا همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا . ما لم يخالطه اسراف او مخيلة) . قال الشيخ : هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الانسان نفسه ، وفيه ايضا تدبير مصالح النفس والجسد والدنيا والآخرة . فان الاسراف في كل شيء يضر بالمعيشة . اذ فيه الاتلاف ويضر بالنفس حيث كانت تابعة للجسد في كثير من الاحوال . ولها امراض تخصها . والمخيلة هي الخيلاء ، وهي تضر بالنفس حيث تكسبها العجب وان كانت مخلوقة منه ، وتضر بالاخرة حيث تكسب الاثم ، وتضر بالدنيا حيث تكسب المقت من الناس . فمن بريء من الاسراف والخيلاء في تصرفاته وتدبيره وسياسته ، فقد بريء من العيوب كلها او جلها .

الحديث السادس والعشرون

من باب الشرب في الزجاج

(حدثنا احمد بن سنان نا زيد بن الحباب ، نا مندل بن على بن محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبد الله عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من قوارير يشرب فيه) . قال الشيخ : الزجاج فاضل للشرب ، والهنود تفضله . وكذا ملوكها تختاره على الذهب والياقوت : لانه قل ما يقبل الوضر والسهوكة ، ويرجع بالغسل جديدا . وايضا يرى ما في باطنه من ظاهره ، فهو كالنمام عن قذى الشراب وكدره ، ويستمتع بصافيه ، وقل ما يقدر الساقي ان يدرس فيه السم . وهذه اشرف الخلال التي دعت ملوك الهند الى اتخاذه . وقد ذكرنا فضائله في كثير من كتبنا ،

ويسمى من بين الاحجار بالاحمق والمائق ، لانه يفشي اسراره ، ويقبل لون ما يجاوره .

الحديث السابع والعشرون

من باب الحناء

(حدثنا ابوبكر بن ابي شيبة ، نا زيد بن الحباب ، نا فائد مولاي عبيد الله بن علي بن ابي رافع. نا مولى عبيد الله، حدثتني سليمى ام رافع مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان لا يصيب النبي صلى الله عليه وسلم قرحة ولا شوكة الا وضع عليها الحناء) قال الشيخ : الحناء مركب من جوهر ناري نافذ صابغ حار باعتدال ومن جوهر أرضي بارد قابض يجفف بلا اذى ويردع ويحلل وينفع من حرق النار اذا صب طبيخه على الموضع ، ومن خاصيته التبريد والترطيب والتليين ، وفيه قوة موافقة للعصب اذا ضمد به سكن اوجاعه ، وفيه قبض يشد الاعضاء ، واذا عجن بالسمن وضمد به الجرب المتقرح المزمن ابرأه ، وينفع من الاورام الحارة ضمادا ، ومن قروح الفم ومن القلاع في افواه الصبيان. واذا خلط بشمع ودهن ورد وضمد به نفع من اوجاع الجنب والوهن . وينفع الحناء من الجراحات الطرية نفع دم الاخوين. واذا خلط بقيروطي وضمدت به العظام المكسورة جبرها ونفع من اوجاع العصب ، وهو ينبت الشعر ويقويه ويحسنه ويقوي الرأس . ولونه قاني محبوب يهيج قوة المحبة ، وفيه رائحة عطرية مع قبض

الحديث الثامن والعشرون

من باب التكحل بالاثمد

(حدثنا ابو سلمة يحيى بن خلف ، نا ابو عاصم حدثني عثمان ابن عبد الملك قال : سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بالاثمد عند النوم ، فانه يجلو البصر وينبت الشعر) .

الحديث التاسع والعشرون

من الباب ايضا

(حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة، نا سليم بن عبد الرحمن بن سليمان عن اسماعيل بن مسلم عن محمد بن المكندر عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالاثمد عند النوم فانه يشد البصر وينبت الشعر ، وفي حديث بعده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير اكحالكم الاثمد يجلو البصر وينبت الشعر

الحديث الثلاثون

من باب من اكتحل ثلاثاً

(حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة ، نا يزيد بن هارون عن حماد ابن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم مكحلة يكتحل منها ثلاثا في كل عين) قال الشيخ :

obeikandl.com

الاثمد يحفظ على **العين** صحتها . ولا سيما عين المشائخ والصبيان لكنه لا يوافق الرمد الحار ، وقد يتخذ منه مع الذهب المكلس كحل شريف معروف عند اربابه . وهو بالتقوية اقمن منه بالجلاء . وينبت الهدب ويحسن العيون ويحببها الى القلوب ، وهو بارد في الاولى يابس في الثانية ، مغر قابض مبرد منق اوساخ العين ، وخاصيته النفع للأجفان ذوات الفضول الغليظة .

الحديث الحادي والثلاثون

من باب الحجامة

(حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ، نا اسود عن عامر ، نا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان كان في شيء مما تداويتم به خير فالحجامة) .

الحديث الثاني والثلاثون

من الباب

(حدثنا جبارة بن المغلس عن كثير بن سليم قال سمعت انس ابن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مررت ليلة اسرى بي بملإ الا قالوا يامحمد مر امتك بالحجامة)

الحديث الثالث والثلاثون

من باب اي الايام يحتجم

(حدثنا سويد بن سعيد ، نا عثمان بن مطر عن زكريا بن

obeikandl.com

ميسرة عن النهاس بن فهم عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اراد الحجامة فليتحر سبعة عشر ، او تسعة عشر ، اواحدا وعشرين . لا يتبيغ(1) باحدكم الدم فيقتله)

الحديث الرابع والثلاثون

من الباب ايضا

(حدثنا سويد بن سعيد نا عثمان بن مطر عن الحسن بن ابي جعفر عن محمد بن ابي حمادة عن نافع عن ابن عمرقال يانافع ، قد تبيغ بي الدم ، فالتمس لي حجاما واجعله رفيقا ان استطعت . ولا تجعله شيخا كبيرا ولا صبيا صغيرا. فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحجامة على الريق امثل . وفيها شفاء وبركة . وتزيد في الحفظ وفي العقل . فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس واجتنبوا يوم الاربعاء والجمعة والسبت ويوم الاحد تحريا ، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء فانه اليوم الذي عافى الله فيه ايوب عليه السلام من البلاء ، وضرر به البلاء يوم الاربعاء .

وفي حديث بعده عن ابن عمر في معناه الا انه قال فيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحجامة على الريق امثل) قال الشيخ الحجامة تنقى سطح البدن اكثر من الفصد ، والفصد لاعماق البدن افضل وابلغ ، وهي تستخرج الدم الرقيق وتصلح

---

(1) يقال : تبوغ الدم بصاحبه وتبيغ ، اي هاج به . وحكى ابن السكيت عن الفراء ، تبيغ الرجل بصاحبه فغلبه، وتبوغ الدم بصاحبه فقتله، وفى الحديث، عليكم بالحجامة ، لا يتبيغ باحدكم الدم فيقتله ، اي لا يتهيج، ويقال: أصله يتبغى من البغى فقلب ، مثل جذب وجبذ . صح من صحاح الجوهري .

للصبيان ولمن لا يقوى على الفصد، وفي البلاد الحارة التي لا يصلح فيها الفصد وتستحب الحجامة في وسط الشهر وبعد الوسط ، ولا تستحب في اول الشهر ولا في آخره . وبالجملة ، تكون في الربع الثالث من ارباع الشهر ؛ لان الاخلاط في اول الشهر لم تكن بعد قد هاجت وتبيغت ، وفي آخره تكون قد سكنت ، واما في وسطه وبعيده فتكون في نهاية التزيد ، والحجامة على النقرة تقوم مقام فصد الاكحل ، وتنفع من ثقل الحاجبين ، وتخفف الجفن وتنفع من جربه ومن البخر .

واما الحجامة على الكاهل فتنوب عن فصد الباسليق ، وتنفع ارتعاش الراس ، ومن امراض اجزائه ، كالوجه والاسنان والاذنين والعين والانف والماق . والحجامة تحت الذقن تنفع من اوجاع الاسنان والوجه والحلقوم ، وتنقى الراس والفكين . والحجامة على القطن نافعة من دماميل الفخذ وجربه وبثوره ، ومن النقرس والبواسير وداء الفيل ورياح المثانة والرحم وحكة الظهر ، ووضع المحاجم على المقعدة تجذب من جميع البدن ومن الراس ، وتنفع الامعاء ، وتشفى من فساد الخصر. ومنافع الحجامة اضعاف ما ذكرناه وانما ذكرنا منها مقدار ما يدل على صحة ما جاء في فضلها وكثرة منافعها ، وهي في البلاد الحارة انفع من الفصد، وآمن غائلة ، وقد تغنى عن كثير من الادوية وقد تستعمل الحجامة بوضع المحاجم لنقل الورم من عضو شريف الى عضو غير شريف فتصرف الورم عن العضو وتستفرغ المادة المحتقنة وتجذب الصحيحة .

الحديث الخامس والثلاثون

من باب الجذام

(حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم ، نا عبد الله بن نافع عن

ابي الزناد ح . وحدثنا علي بن الخطيب . نا وكيع عن عبد الله بن سعيد بن ابي هند جميعا عن محمد بن عبد الله بن عمرو ، عن عثمان عن امه فاطمة بنت الحسن عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تديموا النظر الى المجذومين وفي حديث الباب انه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم ، فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم ، ارجع ، فقد بايعناك . وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد رجل مجذوم فادخلها معه في القصعة ثم قال : كل ثقة بالله وتوكلا على الله ، وفي حديث رواه ابن عمر في باب كراهية الطيرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عدوى ولا طيرة ولا هام ، فقام اليه رجل فقال : يارسول الله ، البعير يكون به الجرب ، فتجرب به الابل، قال : ذلك القدر ، فمن اجرب الاول وفي الباب حديث رواه ابوهريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يورد الممرض على المصح، وفي حديث روته ام سلمة ورد في باب السحر قالت: يارسول الله ، لا يزال يصيبك في كل عام وجع من الشاة المسمومة التي اكلت ، قال ما اصابني شيء منها الا وهو مكتوب على وآدم في طينته) . قال الشيخ : في ظاهر هذه الاحاديث تناقض ؛ لانه عليه السلام نهى عن ادامة النظر الى المجذوم ، وارسل اليه ان ارجع ، فقد بايعناك ورده ليلا يلقاه ، وتارة يواكله ، وتارة يقول : لا يورد الممرض على المصح ، وتارة يقول : لا عدوي ولا طيرة ، وذلك القدر، ومن اجرب الاول وما اصابني شيء الا وهو مكتوب علي . فكل حديث من هذه الاحاديث على انفرده صحيح ، ومجموعها ايضا صحيح .

أما صحة كل واحد منها على انفراده . فلأن كل واحد منها يخاطب به في حال يليق به . فبعض الناس يكون قوي الايمان ، ثابت الجنان بالله تعالى فيخاطبه بطريق التوكل ، وبعضهم لا يقوى على ذلك ، فيخاطبه بالاحتياط والاخذ بالتحفظ . وكذلك هو صلى الله عليه وسلم يفعل الحالتين معا ، تارة بما فيه من البشرية ، وتارة بما فيه من القوة الاهلية ، وايضا ليتأسى به في ذلك ، ويكون لكل طبقة من الناس حجة في سبب حالهم على ما يليق بهم ويمكن منهم . واما صحة ذلك مجموعا ، فلان الامر في نفسه مركب كما لخصنا ذلك في مقالتنا في القدر ، وفي كتابنا في الممكن ، فان الامور اذا اضيفت الى مبديها الاول ، كانت كلها بقدر مكتوبة في الازل ، وان اضيفت الى المحل الذي تصدر عنه جعلت للاختيار والارادة وورود الامر والنهي وتوجه الوعد والوعيد ، واتضح امر الراي والمشورة والتحفظ والاستعداد ، وفي ذلك بلاغ ، ومن اراد استكشافه فعليه بمقالتنا في القدر .

الحديث السادس والثلاثون.

من باب الصلاة شفاء

(حدثنا جعفر بن مسافر ، نا السرى بن مسكين ، تاداود عن ليث بن مجاهد عن ابي هريرة قال : هجر النبي صلى الله عليه وسلم ، فهجرت وصليت ثم جلست . فالتفت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : استبكندرد ، قلت : نعم يارسول الله ، قال : قم فصل، فان الصلاة شفاء)، قال الشيخ : في هذا الحديث فائدتان ، الاولى انه عليه السلام تكلم بالفارسية ، الثانية ان الصلاة قد تبرئ من ألم الفؤاد والمعدة والامعاء وكثير من الآلام، ولذلك ثلاث علل،

الاولى انها امر الهي حيث كانت عبادة، والثانية امر نفسي، وذلك ان النفس تلهي بالصلاة عن الالم، ويقل احساسها به لاحتفالها بها فتستبطن القوة المحتوية بشدة الالم عليه فتطرده، فان قوة العضو المودعة فيه، الموكلة بمصالحه وحراسته التي يسميها الاطباء طبيعة هي الشافية للامراض باذن ربها وخالقها، والماهر من الاطباء يعمل كل حيلة في تقويتها ان كانت ضعيفة، وفي انتباهها ان كانت غافلة، وفي التفاتها ان كانت معرضة، وفي استزادتها ان كانت مقصرة، تارة بتحريك السرور والفرح، وتارة بتحريك الرجاء والامل، وتارة بتحريك الحزن والهم والغضب، وتارة بالحياء والخوف والخجل، وتارة بتذكرها وشغلها بعظم الامور وعواقب المصير وامر المعاد وغير ذلك.

والصلاة تجمع ذلك او اكثره؛ اذ يحضر العبد فيها خوف ورجاء وامل وحياء، وتذكرة الاخرة واهوالها التي هي اهم ما ينظر له، واجدى وانفس، وكثير من الامراض المزمنة في النفس والجسد تشفي بالاوهام، وفي ذلك كتب مفردة تسمى (الطب الروحاني) وقد روى ابو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم اذا دخلتم على المريض فنسئوا له في الاجل، فان ذلك لا يرد شيأ، وهو يطيب نفس المريض.

ويروى عن بعض ولد علي عليه السلام انه كان به خراج يفتقر الى البط فلم يمكن ذلك لشدة ألمه، فامهله اهله ريثما دخل في الصلاة، ثم مكنوا الطبيب من بطه فلم يكترث؛ لاستغراقه في العبادة، والعلة الثالثة امر طبيعي وذلك ان في الصلاة رياضة للنفس فاضلة كما ذكرنا، وفوق ما ذكرنا، وهي رياضة للجسد ايضا،

وقد رايت جماعة من ارباب العبالة والترف محفوظي الصحة ، فبحثت عن سبب ذلك ، فالفيتهم كثيري الصلاة والتهجد . وذلك انها تشتمل على انتصاب القامة وركوع وسجود وتورك وغير ذلك من الاوضاع التي تتحرك معها اكثر المفاصل، وتتنعم فيها اكثر الاعضاء، ولا سيما المعدة والامعاء وسائر آلات التنفس والغذاء عند الركوع والسجود ، وما انفع السجود الطويل لصاحب النزلة والزكام لانصباب النزلة الى الحلق وقصب الرئة ورجوعها الى مجاري الانف، وما اشد اعانة السجود الطويل على فتح سدة المنخرين في علة الزكام وانضاج مادته . وما اقوى معونة السجود على نفض الاخبثين وانحدار الطعام عن المعدة والامعاء ، وتحريك الفضول المختنقة فيها ونقلها واخراجها ، اذ عنده تنعصر اوعية الغذاء ، وتتزاحم فيتساقط بعضها على بعض ، فان في الصلاة اخباتا وخنوعا واستكانة ونية خالصة وجمعية صادقة حصلت عنها خيرات الدنيا والآخرة ، وفضائل النفس والجسد . وكثيرا ما تسر الصلاة النفس والجسد ، وتمحو الهم والحزن ، وتذيب الامال الخائبة والاطماع الكاذبة ، ويصفو فيها الذهن ويتفرغ البال ، وهي تطفيء نار الغضب وتفسخ العزم على الفواحش ، وتفيد الاخبات للحق ، والتواضع للخلق ، وترقق القلب وتحبب العفو ، وتكره قبح الانتقام وسوء المقدرة .

وكثيرا ما يحضرفيها الراي الثاقب، والتدبير المصيب، والجواب السديد وتذكر العبد ما نسي ، فيتفكر في مصادر اموره ومواردها ومصالح دنياه واخراه ومحاسبة النفس ما لم يحضره خارجها . لاسيما ان اطال الانصات وخفت صوته وكان ذلك ليلا عندما تهجع العين وتهدأ الاصوات ؛ وتتضام قوي العالم الاسفل ، وتنزوي فواشيه ،

وتنتشر قوي العالم الروحاني ، وتنبسط غواشيه ، والى ذلك اشار صلى الله عليه وسلم بقوله للذي ساله اي اوقات الليل اسرع اجابة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ، حبب الى من دنياكم ثلاث ؛ الطيب والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة ، وخصها بزيادة صفة حيث كانت جامعة لفضائل الدنيا والآخرة ، ولما يحدث فيها من سرور النفس وابتهاجها جعلها قرة عينه .

واما الطيب فيسر النفس ويشد القوي ويغذي النفس النفسانية خاصة ، وينعش الحرارة الغريزية ، ولذلك صار من سنة الهند انهم اذا ارادوا تناول الغذاء اغتسلوا ولبسوا الثوب النظيف ومسوا الطيب وامسكوا عن حركات المعاش، وهجروا الرفث ثم اقلبوا علي الطعام .

واما المراة فهي شطر دنيا الرجل وشطر دينه . فإنها تشاطره في المعاش بتدبير المنزل ، واما كونها شطر دينه فلأنها تجمع همه عليها وتردع طموح بصره الى غيرها . وتملأ فكره بها فلا يسمع من سواها ، وتستوعب مادة الشبق المعمي عين العقل ، والمكل بصر البصيرة الساد على الفكر بابه القاطع على الرأي طريقه ، وعلى الدين اسلوبه. وتكل مضاء الراي وصريمة العزيمة. فان غلبه الرجل اكمده وان غلب الرجل اوبقه واحدث له سوء تدبير واضطراب رأى يسميه افلاطون جنونا ولعمري هو اشد من الجنون. واغلب للانسان من كل غالب له. وقد يؤدى الصبر عنه الى الصرع والرسواس والماليخونيا. وقد يبريء استعماله من هذه الامراض كثيرا .

والعجب ان جميع اللذات تنال في الملإ ولا يستحيى من مباشرتها ظاهرا كالاكل والشرب والنظر والسماع ، وربما دلت على السرور وعلو الهمة كالطيب واللباس الا الجماع والسكر بعده ، ففي

الجماع يخجل احدهما من صاحبه : لان شهوته تقصر التمييز العقلي ، والعقل صورة الانسان الخاصة فيستحي الانسان اذا رجع اليه عقله مما يشوه العقل ويقدح فيه . ولذلك يستتر السكاري من الناس لانهم اذا رآهم الصبيان طنزوا بهم ، وكذلك حال من يعرض له الصراع ، اذا افاق استحيى ، ولا يستحيي غيره من المرضى ، والجماع لاصحاب السوداء نافع جدا ، يسلسل اخلاقهم ويصفي ما تكدر من ارواحهم ، ويبسط نفوسهم ويسكن طبائعهم ، فهو اغض للطرف واعف للفرج .

وقد قال عليه السلام فيما رواه عنه انس بن مالك ، من اراد ان يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر ، وفي حديث ابن عباس قال : قال عليه السلام : لم ير للمتحابين مثل النكاح . واذا كان الحاقب والحاقن قد نهى عن الصلاة وهو مالك لبه لما يحدث له من القلق ، فمدافعة الشبق اولى ان تطير اللب وتبلبل شمل النبيه ، وتحول بين العبد وقلبه ، وتعوق عن الخشوع والخضوع ، ولذلك قدم عليه السلام الطيب لاصلاحه النفس وثنى بالنساء لاماطة أذى النفس بهن، ثم ثلث بالصلاة: لانها تحصل حينئذ صافية من الشوائب، خالصة من الشواغل .

ولما كان الطيب والنساء يرادان لاجل الصلاة صارا عبادة ، وعدهما عليه السلام مع الصلاة . وجعل ثلاثهن من الدنيا؛ لانها امور بدنية تنال بها درجات اخروية : لكن الصلاة راس العبادة وأس الديانة ، وهي وصلة دائمة بين العبد وربه ، ومناجاة الانبياء والصديقين ، وبها يشاهد عالم الملكوت ، وهي مفزع ذوي الحاجات، وملجأ المضطرين . وطمانينة نفس الخائف ، ومسلاة الحزين ، ومن جرب وجد ، ومن وجد سعد .

الحديث السابع والثلاثون

من باب السوم

(حدثني علي بن محمد وسهل بن ابي سهل قالا : نا عبيد الله بن موسى . انا الربيع بن سليمان بن حبيب بن نوفل عن عبد الملك عن ابيه عن علي عليه السلام قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السوم قبيل طلوع الشمس وعن ذبح ذوات الدر . قال الشيخ هذا الحديث فيه طب الانعام وانماء المال ، فان السوم الرعي ، يقال : سامت الابل تسوم سوما اذا رعت ، واصله الطلب والالتماس . يقال سمته خسفا اذا طلبته لذلك .

والسائمة الابل الراعية . واستمتها انا اذا طلبت لها ذلك، وهي مستامة ، والارض التي تطلب ايضا مستامة ، ومنه سوم السلعة . وهو طلب شرائها : واستمتها ايضا فهي مستامة . ومن ابيات المعاني انشده ابن جني .

ومستامة تستام وهي رخيصة تباع بساحات المطى وتذرع

يصف ارضا ارتادها للرعي وهي رخيصة اي كثيرة المرعى ، واسعة لا يتزاحم فيها لسعتها وكثرة مرعاها . وقوله : تباع وتذرع اي تقطع بابواع الابل واذرعها ، ويقال : سومت فلانا في كذا اذا حكمته فيه ، ويقال : سوم خيله اذا ارسلها ترعى . ويقال : سامت الماشية تسوم سوما اذا رعت، فهي سائمة . وأسمتها اذا اخرجتها الى المرعى ، قال الله تعالى : فيه تسيمون ، والسوم ايضا في المبايعة ، يقال : سام واستام وساوم .

وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرعي قبل

طلوع الشمس لان العشب قد ينزل عليها ندي مؤد للماشية ، ويعلوه وخم وفجاجة وبرد مفرط ومامية كبيرة ، فاذا طلعت عليه الشمس جص النبات وقوي واعتدل وطاب وصح وذهب وخمه وفجاجته وطاب للسائمة ونجع في ابدانها . وفيه فضيلة اخرى من جهة الماشية . وذلك انها اذا سامت ليلا يكون غذاؤها الاول بعد،لم يكمل هضمه ، ولم يتكامل خروج ثفله . ولم يقو الحار الغريزي . فاذا طلعت الشمس كمل الهضم وخرجت الفضول وتحللت من سطح الجسد بحرارة الجو ، وانبعثت الحرارة في الابدان وقويت ، وحينئذ تكون اقبل للغذاء واصح لها وانشط. واما نهيه عن ذبح ذوات الدر ، فمصلحة ظاهرة : لان اللبن يصلح منه اضعاف ما يحصل من لحمها ، ولذلك نهى ايضا ان تقطع شجرة مثمرة او فيها ثمر : لان في ذلك تفويت منافع كثيرة .

الحديث الثامن والثلاثون

من باب اتخاذ الماشية

(حدثنا محمد بن سعيد نا عثمان بن عبد الرحمن نا علي بن عروة عن المقري عن ابي هريرة قال: امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاغنياء باتخاذ الغنم ، وامر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال : عند اتخاذ الاغنياء الدجاج ياذن الله بهلاك القرى . قال الشيخ : انما امر الاغنياء باتخاذ الغنم ، وامر الفقراء باتخاذ الدجاج : لانه امر كل طائفة تتناول بحسب مقدرتها وما تصل اليه قوتها. والمقصد من ذلك كله ان لا يقعد الناس عن التكسب وانماء المال وعمارة الدنيا وحرثها ، وان لا يتركوا التسبب، فان ذلك يوجب التعفف والقناعة،

وربما ادي الى الغنى والثروة . فان ترك ذلك والتماوت عنه والاعراض عن التسبب اليسير . يوجب المسألة للناس والتكفف منهم ، وفي ذلك من المذام ما قد اشبعنا القول فيه في شرح الحديث الاربعين .

واما قوله عند اتخاذ الاغنياء الدجاج باذن الله بهلاك القرى . فيعني ان الاغنياء اذا ضيقوا على الفقراء في مكاسبهم وخالطوهم في معائشهم تعطل الفقراء والاكارون . وفي ذلك هلاك القرى . وبوار اهلها .

الحديث التاسع والثلاثون

من الباب ايضا

(حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، نا عبد الله بن ادريس عن حصين عن عامر عن عروة البارقي يرفعه قال : الابل عز لاهلها ، والغنم بركة ، والخير معقود في نواصي الخيل الى يوم القيامة) ، قال الشيخ : اما قوله صلى الله عليه وسلم الابل عز ، فلانها تحمل الاثقال ، ويقدر اهلها ان يقطعوا المفاوز الساسعة . ويبلغوا الجبال الشامخة ، ويتغلقوا بالشعفات ، ويتعززوا على الملوك والاعداء . والعز المنعة والرفعة ، وقوله : والغنم بركة ؛ لانها تنتج في السنة مرتين ، وربما وضعت سخلا وسخلين ، ففيها بركة لسرعة نتاجها وكثرة اولادها ، والبركة النماء والزيادة .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لام هاني : اتخذي غنما فان فيها بركة . واما قوله : والخير معقود في نواصي الخيل الى يوم القيامة ، فيريد به سرعة اللحوق الى المطالب والتمكن من

من المغانم ، والاستيلاء على المآرب والظفر بالمحارب . وخص ذلك بنواصيها : لان النواصي في الخيل بمنزلة المحيا من الانسان ، وهو اول جزء يلقي المطلوب ويباشر المقصود . وهي التي تهاب عند اقبالها وتخاف . وانما يقع الظفر بالمبتغي عند اقبالها ، ونعوذ بالله من ادبارها ، ولو لم يكن من الخير المتحصل بالخيل الا الجهاد لكفى شرفا وخيرا . فهو من اعظم العبادات واشرف القربات ، وقد جاءت احاديث كثيرة في ثواب من حبس فرسا في سبيل الله واقتناها للجهاد .

واما ما يروى من ان بطونها كنز وظهورها عز ، فهو ايضا معنى شريف، وذلك ان ظهورها حصون العرب في الطلب والهرب، وبطونها كنز ؛ لان الابناء لها اثمان وقيم يرغب فيها الملوك ، ويبالغ في اثمانها ارباب النجدات .

الحديث الاربعون

من بيع المزايدة

(حدثنا هشام بن عمار ، نا عيسى بن يونس ، نا الاخطر بن عجلان ، نا ابوبكر الحنفي عن انس بن مالك ان رجلا من الانصار جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله ، قال : لك في بيتك شيء ؟ قال : بلى ، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقدح نشرب فيه الماء ، قال : ائتني بهما قال : فاتاه بهما ، فاخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم قال : من يشتري هذين ؟ قال رجل انا آخذهما بدرهم ، قال : من يزيد على درهم مرتين او ثلاثا ؟

قال رجل : انا آخذهما بدرهمين ، فاعطاهما اياه واخذ الدرهمين فاعطاه الانصاري وقال : اشتر باحدهما طعاما فانبذه الى اهلك ، واشتر بالآخر قدوما فائتني به ففعل . فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد فيه عودا بيده وقال له : اذهب فاحتطب ولا اراك خمسة عشر يوما ، فجعل يحتطب ويبيع فجاء وقد اصاب عشرة دراهم . فقال : اشتر ببعضها طعاما . وببعضها ثوبا ثم قال : هذا خير من ان تجيء والمسئلة نكتة في وجهك يوم القيامة لان المسئلة لا تصح الا لذى فقر مدقع ، او لذى غرم مفظع ، او دم موجع) . قال الشيخ : في هذا الحديث امور من جهة العربية وحكم نبوية . فقوله عليه السلام : لك في بيتك شيء ، يريد . ألك ؟ فحذف همزة الاستفهام لموضع العلم بها . ولعمر الله انما تحذف حيث يعطف عليها بام ؛ لان ام تنبه عليها . اذ هي نقيضتها ، وقد جاء حذفها في مواضع يسيرة وليس معها ام ، هذا الموضع من جملتها ، وقوة الخطاب وقرينة الحال قد دلتا عليها دلالة ظاهرة ، فساغ لذلك حذفها .

وقول المجيب: بلى، يريد نعم، وهذا الموضوع انما هو موضع نعم لا بلى : لان نعم تقع في جواب الاستفهام عن موجب، كما ان بلى تقع في جواب الاستفهام على النفي ، كقوله تعالي: الست بربكم؟ قالوا بلى فبلى فيها جواب السائل بايجاد النفي ، فلذلك كان معناه : انت ربنا ، ونعم فيها جواب بتقرير السؤال على ما هو عليه . فلذلك لو قالوا في جواب قوله : الست بربكم نعم . لكان اعترافا بنفي الربوبية ، كمن قال في جواب ، اعندك زيد نعم فيكون اعترافا بالايجاب ، نقيض ما تقتضيه بلى ، فلذلك لم تفد هنا ما تفيده نعم

حيث كانت تقتضي ابقاء المنفي . ولا ، انما تقتضي مقابل الايجاب الذي تقتضيه نعم ، وذلك ان لا ، تنفي ما اوجبته بلى .

واما نعم ، فتقتضي تقرير الكلام على حاله وابقاءه على ما هو عليه في كلام السائل من نفي او ايجاب . فاذا كان السؤال عن منفي واجيب بنعم ، واقتصر تقريره على حالة من النفي وافق ما اقتضته لا من نفي ما اوجبته بلى وانما يوتي في الجواب بحروف نعم وبلى اذا كان السؤال يتضمن قولا واحدا ولم يعطف عليه مقابله بام ، لان ام ، تقتضي التعيين ، فان كان العطف باو وكانت القضيتان ربما يختلف الحكم عنهما جميعا كان الجواب حينئذ بهذه الحروف مفيدا فائدة عامة غير مخصصة . واما سؤال التقرير ، فان اجيب بنعم ، احتمل تسليم النفي واحتمل تسليم الايجاب ، وان قال بلى، لم يكن الا تسليم الايجاب وان قال لا، كان تسليم النفي ، فان كان السؤال عن نفي حتى . يكون في الكلام نفيان ، فباي حرف من هذه الثلاثة اجاب ، احتمل معنين فلذلك لا ينبغي ان يجاب باحد هذه الحروف الا حيث لا يلتبس الامر .

والحلس كساء رقيق يلزم ظهر البعير يكون تحت البردعة ، واحتلس النبات اذا غطى الارض بكثرته ، وقولهم نحن احلاس الخيل، اى نقتنيها ونلزم ظهورها. والحلس بكسر اللام. الشجاع، وقوله مرتين او ثلاثا هو منصوب على المصدر : لانه عدد مراته ، وهو راجع الى قال . وقوله فاخذ الدرهمين فاعطاه الانصاري يريد فاعطاهما الانصاري : لانه ضمير التثنية لكن افرده على تاويل الجملة او على تاويل المال: لان الدرهين مال. كما جاء في دعائه عليه السلام، امتعني بسمعي وبصري . واجعله الوارث مني اي اجعل ذلك، وهذا عندي

خير من جعل الضمير للمصدر ، وكذلك قول الاعشى :

ان شرخ الشباب والعشر الاسـ ـود ما لم يعاص كان جنونا

يريد ما لم يعاصيا . وذلك انه متى كان للاثنين حكم واحد ، جاز ان يعبر عنهما بلفظ المفرد. فأما مثل جاء زيد وعمرو الكريمان، او زيد وعمرو يضربان فانه لا يجوز افراده هنا . لان حكم زيد في ذلك غير حكم عمرو .

والقدوم هي الفاس . على وزن فعول ، مثل قتول واكول . وجمعه قدم . واسم مكان . وقوله وشد فيه عودا . يريد سمر فيه . والنكتة الاثر وكذلك الكدوح . وقد جاء في حديث آخر، جاءت مسئلته كدوحا ، اي خموشا في وجهه . فتكون سمة اذلال وشهرة وصغارا ذلك اليوم .

والفقر المذقع ، هو الذي الصق صاحبه بالدقعاء ، وهي الارض التي لا نبات فيها كناية عن شدة الفقر . كما قالوا : ترب الرجل فهو ترب . اي لصق بالتراب فقرا . ولذلك سموه فقيرا . كانه كسر فقاره وتعطل عن المكاسب . وبمثل ذلك ايضا سموه مسكينا ، مثل محضير ومعطير ، وهذا البناء خاص بمن يكثر من الشيء . فيريد انه كثير السكون عن حركات المكتسب ويقال: الدقعاء التراب، ودقع اذا لصق به ، والدقع سوء احتمال الفقر ، وفي الحديث ، اذا جعتن دقعتن اى خضعتن ، والداقع الذي يطلب مداق الكسب .

وقوله اولذى غرم مفظع ، الغرم يلزم الرجل من دين اودية ، وهو المغرم والغرامة ، والغريم الذي عليه الدين . وقد يطلق على من له الدين ، والغرام الشيء الدائم والعذاب . ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما ، اي ملازما . والغرام ايضا الولوع بالشي .

والمفظع : العظيم يقال : امر فظيع ومفظع ، فحينئذ اذا كان الفقر قليلا لم تجز لصاحبه المسئلة الا ان يكون عظيما فعجز عن قضائه ويئس ان تفى قوة مكسبه بادائه .

وقوله : اودم موجع . يريد ما يلزم من الديات ، وسماه موجعا لانه قد فوت عضوا او نفسا اوجبا الدية ، ويحتمل ان يكون اراد بالموجع ، ما يلحقه من الحاح ارباب الدم بالمطالبة او ثوران حرب ودماء لا يخمدها الا اعطاء المال . فيكون السؤال لتحصيل المال سببا لحقن الدماء واخماد نار الحرب ، فيكون حينئذ الوجع راجعا الى المطلوب بالدم ، وفي الاول قد كان راجعا الى من حل به القتل . أو الى اولياء المقتول في ايجاع قلوبهم، فيطلبون الانتقام والتشفى ، والايجاع ، الايلام ، وضرب وجيع . اي موجع مثل اليم بمعنى مؤلم ووجع يوجع . يقال فيه : وجع راسه ووجعه راسه ، ينسب الفعل تارة الى الجملة ، وتارة الى الشيء .

واما حكم هذا الحديث ، فجملة اشير بها الى ما يحضرني ويسعه وقتي وزماني . وذلك انه عليه السلام احسن في التعليم ، وتلطف في التفهيم ، وبالغ في التاكيد . اما احسانه في التعليم ، فانه ما اكرهه ولا علمه بعنف وتعسف ، واما كونه تلطف في التفهيم ، فلانه عليه السلام دله على طريق واحدة من الغنى تليق بالانصاري ، وبمثال ملائم لحاله ، واما كونه بالغ في التاكيد ، فلانه جعل تعليمه بمثال حسن ، ولم يقتصر به على القول ، ولم يخبره بجملة ما عزم على فعله ، بل درجه فيه حتى باشر طريق الكسب ، وشاهد برهان الامر ، فلم يبق للرجل يسعه ان يتشكك ، ولا ان يفشل ويتخاذل ، ولم يبق له حجة ولا شبهة يحتج بها .

فلما صار ذلك محسوسا عند الرجل . ومحققا ومشاهدا عند الصحابة . اتى عليه السلام بعد ذلك بالحكم المحتوي على حكم نبوية . وهي قوله : هذا خير لك . اي الكسب خير من المسئلة . ولم يقتصر على ذلك حتى بين غائلة المسئلة ومعيبتها في الدنيا والآخرة . وهي انها تجيئ نكتة في الوجه . تؤذن بالخزى والمعرة والصغار والذلة فينبغي لعزيز النفس السامي الهمة ، الحر الطبع . الكريم الاعراق ان يستعف ويجتزيء بالبلغة . ولا يريق ماء محياه لسد مخمصته . ولا يكون عبدا لبطنه وشهوته. فان القناعة شرف في الدنيا والآخرة . والقنوع[1] صغار عند الله وعند الناس .

وكان شيخنا عبد الرحمن الانباري في الغاية من القناعة . ولا يقبل عطيات الملوك السمية . وانشدنا يوما لنفسه .

قنعت وما قنعت وهل قنوع الـ ـفتى الا المذلة والصغار

فان من كان صحيح البدن . مقتدرا على الكسب وترك ذلك الى السؤال وطلب ما في ايدي الناس . كان ساقط الهمة . مهين النفس عديم الانسانية والانفية . عبدا بالطبع . بل اخس من العبد ومن الكلب ايضا . فان العبد يعطي لخدمته . والكلب يطعم لحراسته . وهذا المقبح المهين يطلب ان يعطي ولاشبهة له في الاستحقاق اصلا. فلذلك لا يثيب الله من يرفده ولا يعين من يغينه . وهو بين الناس بمنزلة دخل البستان ونابتة الزرع ، يضيق المكان ويفسد الزرع النافع . يستبد بالماء دونه ، ولذلك قال حكيم اليونان يوما لتلامذته : كونوا كالنحل في الخلايا . قالوا : وكيف النحل في

---

(1) من طرة الاصل : القنوع بالضم السؤال والتذلل والرضا بالقسم ضد والفعل كمنع ومن دعائهم نسال الله القناعة ونعوذ بالله من القنوع وفي المثل خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع ه قاموس .

خلاياها ايها الحكيم ؟ قال : ان النحل لا تترك عندها بطالا الانفته واقصته عن الخلية؛ لانه يضيق المكان ويفنى العسل ، ويعلم انشيط الكسل، قالوا : فكيف نصنع ايها الحكيم في مدينتنا ؟ قال تخرجون منها البطالين ، او تحوجونهم ان يعملوا في المدينة عملا يستحقون به ما يقيم اودهم . قالوا : ايها الحكيم ، اضرب لنا مثلا آخر نستبين به ، فهو مما تقوى به صرايمنا على امتثال ما امرت . قال : ان اشخاص الناس فى المدينة كالاعضاء في البدن ، فاذا تأملتم اعضاء البدن لم تجدوا فيه عضوا ولا بعض عضو خلق عبثا ولا باطلا لا منفعة فيه ، بل لكل جزء من البدن منفعة وفعل عظيم جليل او حقير ، وياتيه من الدم والغذاء على قدر شرفه ومنفعته ، فكذلك اهل المدينة ينبغي ان يكون لكل شخص منهم فعل ومنفعة متعدية الى اهل المدينة ؛ لان المدينة في اجتماعها وائتلافها بمنزلة البدن الواحد ، واجزاؤها كاجزائه في الترافد والتعاون . لكن اجزاء المدينة اشخاص ناطقة . واجزاء البدن اعضاء فاعلة ونافعة . قالوا : ايها الحكيم قد احسنت واوضحت ، فصف تقسيم الناس في الصنائع ، قال : ان اهل المدينة ، منهم من يفيد المدينة قوة ، ومنهم من يفيدها عملا . فاما القوة . فمنها قوة بدنية ، ومنها قوة عقلية ، كتدبير الرعية بالملك والوزراء وجباته والخراج وحفظه بالكتاب والحساب والمساح ، وحفظ الشريعة بالحكام والعلماء والفقهاء . وتقويم السياسة بالحكماء وارباب الراي ، وصحة الاجساد بالاطباء . وحراسة المدينة بالاجناد .

واما العوام فهم متولوا اعمال المدينة والصنائع المهينة ، فكل من هؤلاء مستحق بصناعته بمقدار ما يسد من خلل المدينة ، ويغني فيها ويعين ، فكل واحد من اهل المدينة يعطي وياخذ صنفا آخر

غير مقدار ما في قوته ، وياخذ بحسب كفايته وحاجته ، فتصير المدينة بذلك كبدن واحد، واهلها كاعضاء ذلك البدن. قائمة بالقسط مقيمة بالعدل ، جارية على السنة ، جامعة للفضائل ، متنزهة عن الرذائل . اهلها سعداء بملكهم، وملكهم سعيد بهم، فاذا كثر البطالون والمقبحون ، تفرغوا للذات ، وافسدوا على اهل المدينة سيرهم الحميدة ، واصغوهم نحو الدعة والكسل ، وزهدوهم في العمل حتى يروا السعادة في راحة النفس عن العلوم، وراحة الجسد عن الاعمال فيحتجنون ارزاق العباد ويطلبونها بغير استحقاق، ويتشكون الزمان ويذمون اهله ويمدحون الكرام . ومن يتبرع باموالهم على الكسالى والممرقين، ومن يواسي البطالين وربما زوروا في ذلك اقوالا مقنعة واخبارا محرفة مموهة يحثون بها الناس على اصطناع المعروف وبذل الاحسان ، ويوهمون بذلك انهم ممن يستحقون ان يسدى اليهم المعروف ، ويولي الصنيعة وربما ادتهم البطالة الى ان يلتزقوا بالشعر وبمدح الناس وبالدعاء لهم ، وكل ذلك خديعة منهم ، وطريق ليست انسانية : النهي يعمها ، والسنة على خلافها ، فان الصلات جعلت للعاجز عن الكسب ، او لمن يقصد منه ان يتفرغ لما هو اشرف من الكسب ، ولو شغل بالتكسب فاتت منه منفعة اعظم من ذلك كثيرا .

وهؤلاء البطالون يتلصصون على ارزاق هؤلاء المشتغلين بامور المدينة، فيستبدون بمعيشتهم ويضرون باحوالهم، كما يتلصص الزنبور على النحل فيما اعدته لها ولعياسيبها .

قال الشيخ : وقد رايت ان اقتصر على هذا المقدار ، ولم اقصد الاستيعاب حتى اسهب ، وانما هو شيء خطر لسؤال سائل حضر ،

فامليته بحسب ما فتح الله عز وجل، وهذا المقدار وان قل فقد فتح لك بابا، ونهج لك طريقا، وسلك بك اسلوبا، وابرز لك انموذجا، ونبهك على حكم مستورة يظهرها البحث، وجواهر نفيسة مستودعة في اصداف الفاظ يسيرة يستخرجها الفكر.

واذا انت تقريت الاحاديث المضمة للحكم ومصالح الدنيا والآخرة كاثرت الفهم، وانارت العقل، ووسعت المعرفة وصفرت حكم الاولين والاخرين، ونفحك منها عبق النبوءة، وتراءى لك فيها عالم الملكوت، فسبحان من يختص برحمته من يشاء بما يشاء، ويهب لمن يشاء ما يشاء، ويصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، ويفضل بعضهم على بعض كما يشاء، انه واسع الافضال، عظيم الشان سابغ الامتنان، لا رب غيره، ولا مرجو سواه.

انتهت الاربعون حديثا من سنن ابن ماجه وشرحها للشيخ أبي محمد عبد اللطيف البغدادي، من شرحه الكبير على السنن. جرده منها باذنه تلميذه محمد بن يوسف البرزالي رحم الله الجميع، ورضي عنهم ونفعنا بهم آمين.

وفي 10 من رمضان المعظم عام 1288

قال ناشره عبد الله بن عبد الصمد كنون الحسني
هذا تاريخ النسخة التي جرى عليها الطبع اما
تاريخ التاليف فيعرف من ترجمة المؤلف بمحوله

obeikandi.com

obeikandl.com

لسان الدين

هي المجلة الدينية الوحيدة بالمغرب تقرأ فيها دائما مقالات في الاصلاح الديني بأقلام الغير من علماء الاسلام وافتتاحيات تتناول المشاكل الدينية والاجتماعية بروح عليا وتفسيرا شعبيا خاليا من اصطلاحات العلوم للقرآن الكريم . وكتبا كاملة او ملخصات لكتب في السنة ودقائق علوم الشريعة .

* * *

عشرة اعداد في السنة وهديه ممتازة في الاخير

اشتراكها ازهد اشتراك في مجلة 52 بسيطة أو 250 فرنكا

العنوان :

لسان الدين

صندوق البريد 127 ـ تطوان

obeikandl.com